بمناسبة صدور روايتها الأولى «عين الهر»

الروائية السورية شهلا العجيلي: آن الأوان لأن تخرج الرواية العربية من دائرة ردود الفعل

عمان ـ «القدس العربي»:

شهد معرض عمان الدولي للكتاب مؤخرا توقيع «عين الهر» الرواية الأولى للكاتبة السورية ـ الأردنية معاد. شهلا العجيلي والتي أصدرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمان وبيروت، وهي رواية تنتمي إلى الكتابة السردية العربية الجديدة التي تقدم المعرفة والحكاية معا، وتشتغل على موضوعات شائقة وعميقة الدلالات قلما تناولتها الرواية العربية وهي التصوف بطقوسه وشخصياته، والتي من الواضح أن العجيلي قد تشربتها في صغرها بمدينة الرقة السورية، كما أن الحجارة الكريمة ومنها «عين الهر» تشكل معينا خصبا لتنهل منه في سردها كموضوع ودلالات، أما شخصياتها فهي من هذا الزمان مشظاة بأفكارها وتفاصيلها الحياتية ولكنها أيضا غير منبتة عن الماضي بما يحمله من تراث غني قد يثقل الكاهل أحيانا وقد يكون عونا في أحيان أخرى، والروائية العجيلي حاصلة على شهادة الدكتوراه في الأدب الحديث وتدرس حاليا في جامعة حلب، وسبق أن أنجزت أطروحتين أكاديميّتين في نظريّة الرواية، والنقد الثقافيّ. كما أصدرت مجموعة قصصيّة بعنوان «المشربيّة» عن دار كلمات في حلب 2005، أما رواية «عين الهر» فقد صدرت عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر في بيروت 2006، كما شاركت في تأليف ثلاثة كتب أكاديميّة في الفكر والنقد، «السرد وإشكاليّة الهويّة»، و«التجديد في العلوم العربيّة والإسلاميّة»، و«النصّ الروائي والمثاقفة الحضاريّة». هنا حوار معها حول «عين الهر» وتجربتها الكتابية:

■ أول ما يلحظه المرء في قراءته لعين الهر ذلك التمازج بين الراوية وكاتبة الرواية (رحلة عمان ـ حلب نموذجا) فإلى أي مدى كنت ترغبين في الإيهام بين الذاتي السيري وبين الشخصية الروائية المتخيلة؟

■ **لقد عمدت إلى هذه التقنيّة السرديّة، ليصير المتلقّي أسيراً لنصّي، متحرّراً لبرهة من الحياة خارجه. فالمتلقّي دائماً يبحث عن حياة المبدع الخاصّة بين السطور طلباً للمصداقيّة، إنّ الناس يقرؤون الروايات ليتأكّدوا من أنّ ثمّة أناساً حقيقيّين يحبّون، ويحزنون، ويخفقون، ويخطئون، وينهضون من كبواتهم، فيكونون لهم سنداً، أو أمثولة، وعندما يشكّ المتلقّي في أنّ المبدع واحد منهم، يزداد تعلّقه بالنصّ، ويزداد شغفه بتحصيل المعرفة، والخبرة الحياتيّة التي يقدّمها النصّ.**

■ كونها رواية أولى هل كنت مخلصة للتراث العربي (السوري تحديدا) في السرد الروائي و(الأبوة الإبداعية) ولا سيما أيضا أنك سليلة عائلة أدبية سورية معروفة، أم رغبت في الدخول إلى التفرد والخصوصية ـ السؤال يتعلق هنا برأيك الخاص بعيدا عن تنظيرات النقاد ـ؟

■ **لا بدّ من التفرّد، وإبراز الخصوصيّة، وإلاّ لم نكتب، إن كنّا سنكرّر الآخرين! بالطبع هذا لا يعني التمرّد والانسلاخ عن إرث سرديّ وطنيّ، وقوميّ، سيّما أنّني أمتلك إرثاً أدبياً عائلياً أريد له أن يستمرّ في طريق الإبداع والتجديد في ظلّ خصوصيّة ثقافيّة أدعو إلى تكريسها في هذه المرحلة من تاريخنا التي تُوجّه فيها الضربات لثوابتنا عرباً ومسلمين من الداخل والخارج، بل حتّى ثوابتنا الإنسانيّة تنال من الضربات نصيباً، هذا كلّه يمنحني مشروعيّة لأكون ذاتي، ولأكون في الوقت نفسه مشروعاً يرى فيه الآخرون امتدادات لأولين. لقد ولد مشروعي الثقافيّ في هذه المرحلة الخطرة، وبناء على هذه المعطيات التاريخيّة لا أقبل أن أكون مُجتثّة من جذوري، حتّى لو بقيت وحيدة كصفصافة.**

■ لاحظت أنك رغبت في «عين الهر» أن تقدمي معرفة إضافة إلى الحكاية وبدا واضحا جهدك البحثي وثقافتك الذاتية فهل برأيك أن الرواية العربية الجديدة يجب أن تتخفف قليلا من اعتمادها على الحكاية لصالح تقديم المعرفة وطرح الأسئلة؟

■ **نعم، فأنا أجد أنّ على الرواية أن تقدّم المعرفة، لا أن تطرح انطباعات، أو تنافح عن إيديولوجيّات، أو تعيد تدوين التاريخ، وهذا لا يتنافى حتّى مع حكايات الجدّات، التي تمثل الحكاية في أبسط أشكالها.**

في «عين الهرّ» اشتغلت على أكثر من جانب معرفيّ: الأحجار الكريمة، وخواصّها الفيزيائيّة والكيميائيّة، وتاريخها، وعوامل تكوّنها، ومدلولاتها في التراث العربي ولدى الشعوب الأخرى، وطرق قطعها وصقلها، كما اشتغلت على الخطاب العرفانيّ، والتصوّف في الثقافتين العالمة وغير العالمة، وضمّنت نصّي حكايات من الواقع، والتاريخ، كما لم أبتعد عن الشعر. ليست مهمّة الرواية في نظري أن تقدّم حلولاً، وآراء، وتنظيرات قاطعة، وردوداً، لقد آن الأوان لأن نخرج الرواية العربيّة من دائرة ردود الفعل لأنّ الكتابة الروائيّة فعل بحدّ ذاته، يطرح أسئلته، وقلاقله تجاه الذات والعالم.

■ التجربة التصوفية بدت جلية في «عين الهر» وشخصيتها النسائية الأساسية (أيوبة) وقد بدا لي التصوف فيها نتاج خبرة حياتية وليس تصوفا فنيا تتكئين عليه لصالح السرد فهل يبدو التوصيف هنا دقيقا وإلى أي مدى كان لجغرافيتك الأولى وثقافتها الأثر في ذلك؟

■ **الاطّلاع على التجربة الصوفيّة عن بعد، وفي الكتب وحدها، ما كان ليكوّن نصّاً مثل «عين الهر»، المرور بمحاذاة التجربة، ومراقبتها، ثم الانخراط فيها أنتج هذا النصّ، وكما يقول المتصوّفة: من ذاق عرف، ومن عرف اغترف، وأنا أضيف: اغترف وسقى، فلا بدّ من إشراك الآخرين بهذه السقيا، لأنّ المرء لن يحتمل نشوتها منفرداً. بدأ هذا الولع منذ الطفولة، كنت أراقب جلسات الذكر في مضافة أسرتي في الرقّة في المناسبات، وكان يحييها شيوخ محليّون أو من خارج المدينة، وكنت أسأل القائمين على الدعوة من الأسرة بأن يستدعوا شيخاً ويستبعدوا غيره مثلاً، لأنّني أحبّ مدائحه وطريقته، ثمّ رحت أبحث عن هذه الجلسات في أماكن أخرى في الجزيرة السوريّة، وفي جبال لبنان، وصحراء الجزائر، لقد صاغت التجربة جزءاً من عالمي، حتّى تجلّت في «عين الهرّ».**

■ بالمناسبة كونك أكاديمية متخصصة بالأدب الحديث هل من أثر لذلك سلبا أو إيجابا على كتابتك الروائية؟

■ **دراستي الأكاديميّة ذات أثر إيجابيّ بالغ في كتابتي عموماً، لأنّني درست الأدب العربيّ من منطلق مشروعي في الكتابة، وليس على سبيل الصدفة، ولم أصغ يوماً للنظريّات الجامدة في الأدب والنحو، واللغة، كما لم أختر طروحاتي الأكاديميّة عبثاً، أعتقد أنّ كلّ ما أفعله يكمّل بعضه بعضاً، وإنّني أعدّ الخيال المتحرّر والمعرفة منطلقين أساسيّين في كلّ من بحثي الأكاديميّ، وكتابتي الإبداعيّة.**

■ في السياق نفسه من الملاحظ عزوف الأكاديميين العرب وطلبتهم عن تناول الإبداع السردي الجديد والبقاء في دائرة مغلقة تتعلق غالبا بالأدباء الأموات فلم هذه النظرة القاصرة برأيك؟

■ **هي نظرة قاصرة فعلاً، الذين يعيشون بيننا هم الذين يعبّرون عنّا، فهم يكتبون في زماننا ولزماننا، بالطبع هذا لا ينتقص من قدرة الآخرين الذين سبقوا، والذين نسم أعمالهم بالخالدة تلك التي تشتغل على الأغراض المستمرّة، أو الدائمة كما يسمّيها النقّاد الشكلانيّون. لا بدّ من أن تُنصف الكتابة الجديدة على يد الأكاديميا، هناك نصوص جديدة مدهشة في مدى قربها منّا، وملامستها لجوانب غير مفكر فيها في ثقافتنا وحياتنا، ولا بدّ من أن نعطيها حقّها في البحث الأكاديميّ ونقدّمها لطلاّبنا.**

■ أخيرا نعرف بأنك اليوم تنتمين إلى حلب أو الرقة وعمان معا كونك ارتبطت بالشاعر والأكاديمي الأردني مصلح النجار فأي تفاعل بين التجربتين الثقافيتين؟

■ **لا شكّ في أنّ هذا التفاعل يغني وجودي باستمرار، على الرغم من عدم وجود فروق عميقة بين الثقافتين، سيّما أنّنا في سورية نشأنا على مفهوم الثقافة القوميّة، إلاّ أنّ تنقّلي بين عمّان وحلب يجعلني دائماً على مسافة من الأمكنة، وهذه المسافة ضروريّة لتعميق الشعور، وشحذ الذاكرة، كما أنّ اطّلاعي على التجربة الأكاديميّة الأردنيّة عن طريق الدكتور مصلح النجار يصيّرني أشبه بالقناة الأكاديميّة بين جامعة حلب والجامعات الأردنيّة عموماً. أمّا الرقّة مدينتي، فحديثها شجون، إذ حينما أعاود قراءة ما كتبت أكتشف أنّها حاضرة في التفاصيل كلّها، وحين يغالبني الشوق ألجأ إلى اللغة، بلغتي أتي بكلّ بعيد، وألغي المسافات، نعم، بلغتي تصير الغربة وطناً.**

شهلا العجيلي (القدس العربي)

التقاها : يحيى القيسي

إدوارد سعيد: قامة تستَعصي على القياس

عبدالقادر حسين ياسين*

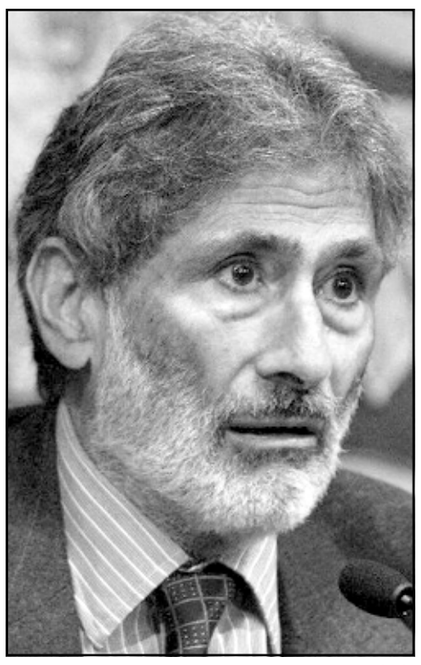

إدوارد سعيد

■ في الخامس والعشرين من أيلول (سبتمبر) 2003، غيّبَ الموت المفكر الفلسطيني البارز البروفيسور إدوارد سعيد، فأخرجه فَحسْبُ، من صفّ الأحياء بامتياز، حيثُ أمضى عُمُراً قاربَ الثمانية والستين عاماً، إلى صفّ الخالدين، حيث العُمْرُ يتواصلُ بلا نهاية ؟ لقد أخرجَ الموتُ إدوارد سعيد، فقط، من ألمٍ مُمضٍّ، عاناه طيلة أعوامه الاثني عشر الأخيرة.

التقيت بَالدكتور إدوارد سعيد لأول مرة في مؤتمر «الخريجين العرب من الجامعات الأمريكية» في شيكاغو عام 1980، ولكن علاقتي الحميمة بهذا المفكر الفلسطيني الفذ بدأت قبل أن التقي به شخصيا.

كان أهم ما قرأته له كتابه الأساسي «الاستشراق» Orientalism الذي ترجم الى العربية، ترجمة جميلة قام بها الصديق كمال أبو ديب. من عادتي أن أخاطب من ألتقي بهم لأول مرة أن أقرن الاسماء بالألقاب، وعندما ناديته: دكتور ادوارد، قال مبتسما: ادوارد من فضلك، ادوارد بس. كثيرا ما يدركني الخجل في هذه المواقف لكنه أزال تكلفا.

لَقَدَ أراد إدوارد سعيد في هذا الكتاب أن يضع اللبنات الأولى والصحيحة لتصحيح الوعي الغربي المغلوط بسبب مغالطات المستشرقين ورؤاهم الأيديولوجية الأحادية الجانب. وربُّمَا يجوز تلخيص مشروعه في تعرية الاستشراق في أنهُ لا يريد قراءة ما هو أمامه، أي تحويل الشرق إلى نص أو بنية نصية والنظر في كيفية استنطاق المستشرقين لهذا النص واستجلاء غوامضه بما يخدم الغرب ويعزز مصالحه ومواقعه؟

لم يأبه إدوارد سعيد ـ من موقع قوة الحق، وثقته بما يملك من حق، وببراعته وموهبته وقوة المنطق والحجة ـ بالموقع الجغرافي الذي يعيش فيه، ولم يأبه بسطوة إعلام المنطق المعوجّ وسيادته شبه المطلقة، فانطلق من معقل سيطرة اللوبي الصهيوني وميدان فاعليته ليوضح بمقالاته وكتبه وأبحاثه حقيقة الحركة الصهيونية، وأن احتلالها لفلسطين لا يختلف أبداً عن مخططات الغزو الاستعماري للعديد من دول العالم، ويبين من ثَمَّ أن الاحتلال الصهيوني لفلسطين متساو في المبدأ والممارسة وحتَى الغاية مع الدول الاستعماريةً.

ولذلك يؤكد إدوارد سعيد أنهُ لا يجوز النظر إلى الحركة الصهيونية على أنها «حركة تحرر وطني يهودية»، كما هو شائع في أوروبا وأمريكا، وإنما يجب النظر إليها بوصفها أيديولوجيا غازية واحتلالية بحثت عن مستعمرة لها في الشرق كما بحثت الدول الاستعمارية عن مستعمرات لها. ويزيد إدوارد سعيد بأن هذه الأيديولوجيا تختلف عن غيرها من الأيديولوجيات الأوروبية الغازية بأنَّها عنصرية استثنائية متصلبة؟

وعلى هذا الأساس لم يجد في «اتفاقية أوسلو» التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية مع إسرائيل إلا خيانة منذ بدايتها، وقد وصف الاتفاقية بأنها «عهدٌ انتهازيٌ بَيْنَ سفاحين؛ إسرائيلي وفلسطيني متعطشين للقوة». ورأى أن هؤلاء الفلسطينيين «عرضوا القضية للخيانة وفرطوا بالوطن» .

تابعت ادوارد سعيد، وأزعم أنني قرأت كل كتبه ومقالاته، وأشهد أنه تحقيق لوعد تصورته وتمنيته. أستاذ جامعي مقتدر في مادته، وهي الأدب المقارن، ولديه كفاءة تتسابق الجامعات الأمريكية الى طلبها، وقد سبقت اليه جامعة كولومبيا وأصبح فيها الاستاذ المرموق والنجم اللامع.

وقد أضاف الى هيبة الاستاذ الجامعي والباحث المرموق قيمة المثقف ورؤيته وقدرته على الفعل، ثم تجلت شخصيته حين استطاع ان يحقق لنفسه ذلك التوازن الضروري لمن يريد أن يخاطب العالم والعصر فعلا، بحيث يقرأ له أو يصغي اليه كلاهما باحترام واهتمام، وذلك التوازن ـ على بساطته ـ معضلة بين العرب، ولعل شرطه الغائب عن بعضهم، معظم الوقت : أن يكون الكاتب أو المتحدث متعمقاً في موضوعه بما يجعله مُصدَّقا ومقبولا لدى الآخر... وهكذا كتب ادوارد سعيد، وهكذا تكلم وحاضر وناقش، واستمع اليه العالم والعصر باهتمام كبير واحترام فائق، حتى وان كانت الكتابة والكلام بالاختلاف.

وكما يقول عنه بول بوف Paul Puff في كتابه «إدوارد سعيد ومهمة الناقد»: «... إنهُ الأكاديمي والمفكر العالمي الذي يعدُّه كثيرون واحداً من نخبة مثقفي القرن العشرين الذين استطاعوا القيام بدور الجسر بَيْنَ ثقافات مختلفة».

لَقَدَ انطلق إدوارد سعيد، من فهمه بنية السياسة الأمريكية وآلية اتخاذ القرار الأمريكي، ومن إدراكه تعذر ممارسة ضغط أو تبديل أو تغيير في القرار الأمريكي من الأعلى، وفي ذلك يقول: «حاولت منذ منتصف الثمانينات أن أوثر في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وفي كل فلسطيني أو عربي أقابله، في أن البحث عن مُدافع في البيت الأبيض ليس إلا أضغاث أحلام، طالما أن جميع الرؤساء المعاصرين مكرسون للأهداف الصهيونية».

جاء ادوارد سعيد الى بيروت عام 1981. كانت زيارته الأولى بعد طول انقطاع. وصحبته يوما كاملا من العاشرة صباحا الى الثانية عشرة ليلا.

كان يستعيد الزمن من خلال المكان. وجرى حوار طويل بيننا عن علاقة الزمان والمكان، عن التاريخ. وخلال اللقاءين الأول والثاني كانت المودة بيننا وكأننا نعرف بعضنا منذ عقود. ليس هذا غريبا على الكتاب الذين يعرف كل منهم الآخر من خلال كتاباته.

وحتى آخر لقاء لنا، في شقتي في بوروس، عندما جاء للمشاركة في فعاليات «المعرض الدولي للكتاب» (الذي يقام سنويا في غوثنبيرغ) وصدور الترجمة السويدية لكتابه «خارج المكان» Out of Place، كنا نتخاطب بحميمية... حبي له كإنسان عميق، وتقديري له كمثقف موسوعي يتسق مع نفسه، مع ضميره، ذي رؤية انسانية، كونية. ولعل في سيرته العلمية التي اكتملت للأسف الشديد ما يهتدي به بعض المثقفين العرب الذين يمرون بمرحلة اضطراب، لكثرة النماذج التي تتهاوى وتترخص، ولا أريد أن أذكر أسماء.

لكن لا يمكن فهم موقف ادوارد الا باستيعاب نقيضه، أعني أولئك الذين استقروا مثله في الولايات المتحدة، وأصبحوا أساتذة في جامعات كبرى، لكنهم وظفوا ثقافتهم للدور النقيض، لتبرير السياسات الأمريكية، ولتحقير العرب والثقافة العربية، أصبحوا جزءا من الآلة الأمريكية المعادية للعرب، وللثقافة العربية، رغم انتماءاتهم الأصلية. اذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، اللبناني فؤاد عجمي، والعراقي سمير خليل، والسوري نبيل الصايغ... وفي مواجهة هؤلاء وقف ادوارد سعيد كمثقف انساني عظيم، يفكك رؤية الغرب الى الشرق العربي، ويحلل مكوناتها.

على مستوى التاريخ والحاضر، لا يكتفي بدراسة الجذور دراسة امكانية، انما يتجه الى الواقع الآني، ولعل كتابه «تغطية الاسلام» Covering Islam الذي يفضح فيه أساليب الاعلام الغربي في النشر عن الاسلام وعن الثورة الايرانية بالتحديد، كان بمفرده ولكن صوته كان قويا، يحظى باحترام عظيم في نقده للسياسات الفلسطينية على امتداد العشرين عاما الأخيرة.

كان ادوارد انسانا بسيطا في مظهره ومعاملاته مع الآخرين، وتمر أمامي الآن صور عديدة لجولاتنا في بيروت ولندن ونيويورك.

وكان طيبا الى أقصى حد، قويا، صلب الارادة، منذ أن بدأ مرضه، لم يهن، ولم يتقاعس، وآخر مقال قرأته له نشر في صحيفة The Independent on Sunday البريطانية قبل رحيله بأيام.

عندما رأيته في آخر مرة كان غائر العينين، كثّ اللحية، مُحبا جدا... وعندما قلت له مداعبا أن هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها بلحية كثة، وأنه قريب الشبه من إرنست همنغواي، الروائي الأمريكي المعروف الحائز على جائزة نوبل، قال إنه لا يستطيع حلاقة ذقنه، أي جرح يمكن أن يهدد حياته، مناعته ضعيفة نتيجة العلاج الكيماوي المقاوم لسرطان الدم الذي يعاني منه منذ سنوات. كنت مشفقا عليه...

عندما وصلني نبأ رحيله، ظللت للحظات صامتا في مكاني... لم تصدر عني حركة، حتى الأنفاس أحسستها متجمدة. النبأ وحده أكبر من صمتي... جلست تغمرني وحدة عميقة وشعور بالكآبة لا يوصف، أستعيد لقاءاتي به، في بيروت، في لندن، وفي شقته في نيويورك.

لقد أحسنَ شاعرُنا الكبير محمود درويش حين كتبَ في وداع إدوارد سعيد يقول: «يلتقي العالمُ اليومَ مع فلسطين في لحظة نادرة، لأن إدوارد سعيد بضميره الحيّ وثقافته الموسوّعية، وضع فلسطينَ في قلب العالم، ووضع العَالمَ في قلب فَلسطين....».

كانَ إدوارد سعيد، المفكرَ الفلسطينيَ، الأميركيَ، الكونيَ، الإنجاز الأكبرَ لشعبنا الفلسطيني، على مستوى نتاجه الفكري، في نصف القرن المنصرم، وأحدَ أبرز إسهاماتَه في حضارة العالَم الحَديثة، وذلك من خلاَل انتاجه الفكري الغزير المتمثل في عشرين كتاباً، أهمها وأكثرُها شيوعاً وانتشاراً : «الاستشراق»، «الثقافة والإمبريالية»، «ما بعدَ الكولونيالية»، «قضيةُ فلسطين»، «تغطية الاسلام» «خارج المكان» ومئات الدراسات والأبحاث العلمية والمحاضرات والمقالات، التي أثارت جدلاً لجُاجاً، وحوارات مستفيضَةً، في كلَ عواصم الدنيا..؟

ولعل أصدق تعبير عن حجم خسارتنا بفقدان إدوارد سعيد هو ما قاله المفكر الأميركي نعوم تشومسكي Naom Chomsky في رثاء الراحل الكبير:

«إن موته خسارة فادحة... فقد اشتهر، عن جدارة، بمساهماته اللامعة في إنتاج ثقافي غيَّرَ عملياً من طرائق رؤيتنا للعالم الحديث ولأصوله التاريخية... وكان يناضل، بلا كلل ولا هوادة، من أجل العدالة والحرية وحقوق الإنسان، ليس للشعب الفلسطيني وحده، وهو الذي لا يُضاهى في النطق باسمه، مُحيياً آماله وقضيته في أزمنة مظلمة فاجعة، وإنما أيضاً للعديد غيره من الشعوبَ المحرومّة والمعذبة في أرجاء العالم كافة... وإنني لواثق أن ميراثه سوف يكون مصدر إلهام وقيادة لسنوات عديدة في الزمن اللاحق، وخيرُ تكريم لهذا الإنسانَ الرائع، أن نسعى بأفضل ما نستطيع لمواصلة التقدم في الدروب التي فتحها ومهّدها بكامل تألقه ونزاهته»؟

قبل رحيله بشهر، فوجئت به يتصل بي على الهاتف النقال، لم يكن ثمة سبب محدد، كان يسأل عن أخباري، عن آخر كتبي، حدثته عن بحث أعده عن «العنصرية في الأديان»، ثم سألته عن أخباره، فقال لي انه يستعد «للقاء الموت»، وبرحيله أشعر وكأن جزءا حميما مني قد اندثر!!

ادوار سعيد، أيها الأستاذ الكبير والأخ العزيز والصديق الصدوق، هل أقول سلاما، أم أقول وداعا؟ ادوارد سعيد، أنت أكبر من السلام، وأكبر من الوداع.

من حسن حظي أنني عشت في زمن الكبار.... ومن بين هؤلاء الكبار عملاق فلسطيني تعلمت منه كيف أطرح السؤال عن الانتقال من زمني الى زمني، وكيف أبقى مخلصا لما تعلمت منه...على الرغم من أن كل ما يحيط بنا في هذا العالم العربي الممتد من طنجة الى بغداد يقدم الخيبة تلو الأخرى، والنكسة تلو الأخرى، حتى نكاد نندم على ما تعلمناه... وما كنت فعلت.

ادوارد سعيد، سلاما وتحية، ففي التحية الحياة... التحية هي المحافظة على وديعتك التي أودعتها لدى كل من لا يزال مؤمنا بأن المقاومة هي كل ما نملك، وبأن الوعي النقدي هو الطريق. كتاباتك علمت الكثيرين ممن لا نعرفهم، لأنهم اليوم في كافة أرجاء العالم... انهم قليلون، معزولون، وهم ـ مع ذلك ـ بفكرك ومواقفك في الثبات على المبدأ، يواصلون طريق المقاومة : أبجدية من أعطوا للبشرية، عبر تاريخها الحضاري الطويل الذي يمتد عبر آلاف السنين، ما تستحق به الاقامة على الأرض.

ادوارد سعيد؛ أيها المقدسي الفلسطيني الكبير، سلاما...!!

* كاتب وأكاديمي فلسطيني يقيم في السويد

قصيدتان للشاعر الصوتي الفرنسي باتريك دوبوست

ترجمة: صالح دياب

كلمة «حديقة»

أنظر. إلى كلمة. كلمة «حديقة». أنظر إلى كلمة «حديقة». جالسا في حديقة. في الخضرة. في مكان ما من الخضرة. فعلا، أنظر إلى «تقريبا لا شيء». أو الأصح، شيئا أمام «تقريبا لا شيء». حول كلمة «حديقة» حديقة بالتأكيد، مع كلمات الحديقة. ولكن. كلمات الحديقة في شكل سريع كثيرة على حديقة. أبتعد. أبتعد عن كلمة «حديقة» وما حول الحديقة عبر نهاية جملة طويلة قليلا. أبتعد عن كلمة «حديقة» وحول الحديقة عبر جملة ملفوظة بصوت مرتفع.

قائلا عاليا كلمة «حديقة» وحول حديقتها ليس من الممكن إلا أن تروني. أتقدم، أدخل «في شكل واقعي» في حديقة. حديقة «واقعية» مع بستانيها. حديقة وكلمة «حديقة» وكلمة «واقعية»

وبساتنتها. بستانيّ كلمة «واقعية». لكن في شكل سريع، هذه أدوات كثيرة على بستانيّ واحد. إذا ليكن بستانيين. ثلاثة بساتنة. حديقة أكثر من مأهولة. بحشد من سلال الكلمات التي شوهدت ولكن لم تقل بعد. سلال من الأزهار. من الشجيرات. كلمة «زهرة» مع أزهار. «شجيرة» مع شجيرات. كمّ هائل ملء الذراعين من الكلمات المختصة بالأزهار والشجيرات. تأتي إلى مناخاتنا وتتبدى على هيئة حديقة. حديقة من الكلمات مختبئة تحت الأزهار. تراب مسمّد من أزهار قديمة. زهور الماضي. كلمات كشلالات داخل كلمات أخرى. كلمة «شلال» تحت شلال من الكلمات. نهر من الكلمات حيث كلمة «نهر». الأزهار على حافة الماء تحت آلاف الأزهار المسماة ومن كافة الأصناف. الشجيرات منهكة تحت عدد غفير من الأزهار المسماة. لا تعد ولا تحصى. ساكنة. أبحث تحت زحمة الكلمات اللامقروءة عن شيء يشبه شكلا. أبحث عن ألوان، كثافات، روائح. زهرة وجدت قبل كلمة «زهرة» تعود إلى الشجرة قبل أن توجد كلمات الأشجار. زهرة على شجرة قبل أن تكون مرئية. شكلا قبل أن يكون معروفا. وجها بلا شكل. أصنع باقة من كلمات لا مقروءة. كلمة جديدة بين الكلمات القديمة، على بطاقة. كلمة «إضافي». مفتاح للخروج من الحديقة. مفتاح الخروج من الحديقة لا يمكن أن يكون إلا كلمة. كلمة «إضافي». بالكاد ترى. مكتوبة على لوحة مرتفعة. كل العالم يعرف أن هذا عنوان قصيدة. باستثناء اثنين أو ثلاثة بساتنة يشتغلون حتى ساعة متأخرة في القصيدة. ولا يخطر في بالهم البحث فيها عن مخرج. ولن يخرجوا منها أبدا. تركت بساتنة في كل مكان من قصائدي، ولم يعودوا يعرفون ماذا يشتغلون.

أقول أكتب أحبك

أحبك
أكتب أحبك
أقول أكتب أحبك
أكتب أقول أكتب أحبك
أكتب أقول أكتب أحبك وأحبك بعد
أحبك وأكتب بعد
كل يوم
أحبك وأكتب طيلة أكثر من كل يوم
لم أعد أعرف إذا ما كنت أحبك كي أكتب أو
أحب أن أكتبك
أحبك أنت
من أعماق عينيك أكتب كي أكتب أنت
حيث لا شيء يظبط دون أن يكتب
حيث لا شيء يظبط دون أن يقال
عيناك أكتب أنا هنا في الأعماق
بلا حركة بلا فعل أي شيء هنا
بلا تكسير أطباق
نهار كامل
ليلة كاملة أنا هنا في
ما يأتي ويقال ويكتب دونما قول أي شيء
حياة كاملة
على حافة العالم
في نهاية حافة العالم
في نهاية حافة أعماق العالم
في أعماق نهاية حافة العالم
حيث لا يبقى غيرك
وغيري في صحراء
و
الذي هو لا شيء
الذي هو كل شيء
الذي هو ليلة بكاملها
الذي هو نهار بكامله
الذي هو كل شيء
بين كل شيء ولا شيء
بيني وبينك
في شكل ثابت
في قلب ما يستمر
هو الذي يلتصق بالجلد
هنا بالضبط تحت الأضلاع
ويكلمني عنك
فيّ يقول أحبك
هو الذي فيّ يقول أحبك
هو الذي فيّ يعاود القول أحبك
ويكرر
ولا يعود يعرف شيئا آخر
ليقوله
أحبك أنت
أحبك أنت
و لا يعود يعرف غير ذلك ليلقنني
ولا يتلفظ بشيء
آخر غير ذلك
أحبك أنت
أكرر
أصرخ برقة
أحبك أنت
أحبك
أحبك

■ باتريك دوبوست شاعر صوتي فرنسي، مواليد عام 1957، درس الرياضيات والموسيقى، نشر حوالي عشرين مجموعة شعرية، وعددا من الأسطوانات. والقصيدتان من كتاب الشعراء الفرنسيون الجدد، لجان لوك فافخ وماتياس فينسانو. منشورات رسائل الزمن.